

الحلقة الرابعة والستون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

صديقي المستمع، كنا قد تأملنا في اللقاء السابق بمقولة المخلص المسيح: «أعطوا إذناً ما لقيصر لقيصر وما لله لله». وتبين لنا أنه لا يوجد أي تعارض بين إطاعة الله والشرائع والقوانين البشرية. وأن ولائنا يجب أن يكون لثلاثين معاً. أي أن نخضع للقوانين البشرية، وفي نفس الوقت أن نطيع الله في حياتنا. لكن لأهمية هذا الموضوع نود أن نتحدث عنه في لقاء اليوم أيضاً. فما زال الكثيرون يصرون على ضرورة تطبيق الشريعة الإلهية في المجتمع، أو على الأقل جعلها المصدر الأساس لقوانين وداستير المجتمع. فما مدى صحة هذه النظرية ومدى تطابقها مع الواقع المنظور؟

ولكي يكون كلامنا عملياً، دعونا نتحدث أولاً عن الشريعة التي أعطها الله لكليمه النبي موسى. لعل السؤال الآن: هل تصلح هذه الشريعة لمجتمعات اليوم؟ لكن قبل أن نجيب عن هذا السؤال علينا أن نتحدث عن الأسباب التي أعطى الله بموجبها هذه الشريعة، إذ عليها تتوقف إجابتنا.

لعل أول ما يلفت انتباهنا هو أن الله أعطى هذه الشريعة عندما أخرج العبرانيين من مصر، حيث كانوا مستعبدين للمصريين. وعندما خرج العبرانيون كانوا مجرد عسائر لا توجد عندهم شرائع ولا قوانين تتحكم بهم. وليس هذا فحسب بل قد أخرجهم الله إلى البرية ليكونوا مجتمعاً منعزلاً عن باقي الشعوب. وفي هذه الحالة كان يجب على الله أن يعطيهم الشريعة التي تنظم مجتمعهم بكل تفاصيلها. وأيضاً أن تشرح لهم بالتفصيل كيفية عبادتهم له تعالى. أي كانت هناك أسباب جوهرية دعت الله لكي يعطي الشريعة الإلهية لهذا الشعب الذي اختاره عن باقي الشعوب في ذلك الوقت.

وبتعبير آخر أعطى الله هذا الشعب الشريعة لزمان معين، وفي مرحلة معينة من التاريخ البشري. لا بل كانت هذه الشريعة تمهّد لمجيء المخلص المسيح. وعندما أتى المسيح أكمل في حياته كل متطلبات الشريعة من الناحية الإلهية، وبدأ عصرًا جديدًا. وهكذا لم تعد هناك حاجة للعودة إلى متطلبات الشريعة القديمة.

مستمعي الكريم، اتضح لنا الآن أن الشريعة الإلهية القديمة قد انتهى زمانها وبطل مفعولها. ولقد أسهب رسل المسيح بالحديث عن هذا الموضوع. فكتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: «وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمَسَّكِينَ فِيهِ، حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لَا بِعَتَقِ الْحَرْفِ» (الرسالة إلى رومية ٧: ٦). أي أن المؤمن بالمسيح قد تحرر من سلطان الناموس أي الشريعة، لأن الناموس قد انتهى أو مات حسب تعبير الرسول بولس بعد مجيء المسيح. أما كاتب سفر العبرانيين فقد قارن بين العهد الجديد وشريعة العهد القديم فقال: «فَإِذْ قَالَ «جَدِيدًا» عَتَقَ الْأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ الْإِضْمِحْلَالِ» (الرسالة إلى العبرانيين ٨: ١٣).

لقد بدأ المخلص المسيح إذن عهداً جديداً بدمه الذي سفكه على الصليب، هذا العهد الجديد قد أنهى شريعة العهد القديم وأبطل مفعولها. لهذا كتب عنه الكاتب هنا: أن ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال. وهنا نصل إلى النتيجة الهامة: أن الشريعة الإلهية القديمة لا تصلح لمجتمعات اليوم.

لكن ماذا عن الشرائع الإلهية الأخرى هل يمكن أن تطبق في مجتمعات اليوم؟ وللجواب نقول: إن هذه الشرائع كلها وجدت في قرون قديمة سابقة، وفي مجتمعات معينة تنطبق عليها مواصفات محددة. أي أنها وجدت في زمان ومكان محددين، وبالتالي لا نستطيع تطبيقها على مجتمعات اليوم المعاصرة. وعلاوة على ذلك إن هذه الشرائع تقسم المجتمع بين تابعي هذا الدين، والناس من خارجه. وهذا لا يتوافق مع حقوق الإنسان المدنية وبالتالي لا تصلح لمجتمعات اليوم. وهكذا نصل إلى النتيجة الواضحة: أنه لا تجوز الدعوة إلى تطبيق الشرائع الإلهية على مجتمعات اليوم، أو جعلها الأساس لسن القوانين البشرية.

مستمعي العزيز، إذا كانت الشرائع الإلهية لا تصلح لمجتمعات اليوم فما هو الحل إذن؟ وللجواب نقول إنه الحل الذي طرحه المخلص المسيح ألا وهو: «أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ». أي خضوع الإنسان وإطاعته للقوانين والداستير البشرية، وفي نفس الوقت إعطاء الله حقه في حياته.

قد يسأل سائل: وهل الدساتير البشرية تتوافق بمجملها مع فحوى ومضمون الشرائع الإلهية؟ وللجواب نقول: نعم إنها تتوافق مع ما يطلبه الله من تنظيم للمجتمع والحفاظ على أمنه وسلامته، وتأمين احتياجاته المتنوعة من اقتصادية، وقضائية، وتعليمية، وصحية، وأيضاً تأمين نوع من العدل الاجتماعي بين طبقاته.

هل تعلم صديقي أن الله هو الذي سمح بسن الشرائع البشرية لكي تجري العدل والانصاف بين المواطنين؟ كتب الرسول بطرس قائلاً: **فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ، أَوْ لِلْوَلَاةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِإِنْتِقَامٍ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ** (ابطرس ٢: ١٣-١٤). لقد بيّن الرسول بطرس أن الله أقام الحكومات وسمح بسن الدساتير لكي تنظّم المجتمعات وتعاقب الذين يفعلون الشر، وتجازي الذي يفعلون الخير. أجل، لقد سمح الله للدساتير والقوانين البشرية حتى تقود المجتمع لما فيه خيره وتقدمه. وعلى المؤمن المسيحي كمواطن إذن أن يخضع للقوانين والدساتير البشرية.

من جهة أخرى على الإنسان أن لا ينسى التزاماته وواجباته نحو الله خالقه. ولعلّ أولى هذه الالتزامات أن يسمع صوت الله الذي يدعو للتوبة عن خطاياها، ويؤمن بالمخلص المسيح الذي أرسله الله لكي يكفّر عن خطية البشر جميعاً، بموته الفدائي على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات.

فهل تتجاوب مستمعي مع دعوة الله هذه؟ وهل تسعى في نفس الوقت لكي تكون مواطناً صالحاً تخضع للقوانين والشرائع التي تسنّها الحكومات؟ أرجو أن تفعل ذلك. واعلم جيداً أن أولاد الله هم الذين يكون ولائهم لله ولإطاعة القوانين البشرية في آن واحد. أي يعطوا كما قال المسيح: **ما لقيصر لقيصر وما لله لله.**